# أبعاد التسامح الإنساني في فلسفة فولتير

الدكتورة: وفاء برتيمة، جامعة بسكرة، الجزائر

**الملخص:**

يدعو "**فولتير**" إلى قيم التسامح المطلق انطلاق من أخلاق اجتماعية وضعية نستطيع من خلالها تجاوز مناخ التفكير الكهنوتي والسحري السائد في القرون الوسطى نحو العمل بمبادئ العقل والعلم الوضعي والحرية مع مراعاة القيم الأخلاقية المشتركة بين الأفراد والجماعات والدول، لتحرر من رواسب تلك العصور و تحقيق فضائل السلام العالمي وفق قيم التسامح وفضائله الكونية .

**Abstract:**

Voltaire calls for the values of absolute tolerance, starting from a social social status, through which we can transcend the climate of the priestly and magical thinking prevailing in the Middle Ages to work with the principles of reason, positive science and freedom, taking into consideration the common moral values among individuals, groups and nations. The virtues of world peace in accordance with the values of tolerance and universal virtues.
Keywords: Tolerance, Middle Ages, Religion, State, Enlightenment, Freedom, Mind.

**مقدّمة:**

ساد في البلاد الأوروبية طابع استلاب الهوية للإنسانية خاصة في القرون الوسطى التي وصفت بعصور الظلام ،وهذا يعزى إلى سياسيات قهر وقمع الحرية الفردية وإقصاء للعقل والعلم حتى الربع الأخير **من مطلع القرن 17وبداية القرن18،** أين عرفت أوروبا حركة استنارة شاملة هددت التواجد الكهنوتي والسياسي المستبد داعية لقيم العقل والعلم والتحرر و الأخلاق من خلال مبادئ التسامح بداية من "**لوك**" مرور "**بفولتير**"وجل الموسوعيين الذين سطروا لثورة الوعي ضد الظلام والظلم نحو التحرر والحرية و شرعية المواطنة العالمية والمنفعة العامة وفق معايير العدالة الاجتماعية.

وان تضمنت الاختلاف والتعدد والكثرة فهي ركائز للوحدة، وهذا ما دعا إليه **فولتير**" نظريا وعمليا نابذا كل بذور الشرور والرذائل؛ وانطلاق من المفارقة المنطقية بين ما هو كائن وما يجب أن يكون لوضع مستمد من القرون الوسطى وصولا إلى القرن (18) تمحورت إشكالية بحثنا في الطرح التالي:ما **مضمون مشروع فولتير" الإنساني لمجابهة جبروت عصور الظلام والتدين المغشوش؟ أو بطرح أخر :كيف للقيم التسامح التي سلم بها "فولتير" أن تحقق السلام العالمي ؟**

**1.مفاهيم البحث المحورية :**

**أ.التسامح**

* لغة يعرفه "**الجرجاني**": «**من المسامحة هي ترك ما تحب تنزها**» (1)،

**اصطلاحا يعرفه "**جميل صليبا**": «**واجب أخلاقي ناشئ عن احترام الشخصية الإنسانية**» (2) فالتسامح في القرن (18) كان يفيد معاني عديدة منها:

هو: «**ما يتصف به الإنسان من ظرف وأنس وأدب وتمكن من معايشة الناس رغم اختلاف آرائهم**» (3) .

**ب.تحديد معنى الدين**

*لغة هناك عدة معالم للدين منها:

*الدين هو: «العادة، وهو الحال والسيرة، والسياسة، والرأي» [4].

**اصطلاحا: الدين هو: «الإيمان بالقيم الأخلاقية المطلقة والعمل بها، كالإيمان بالعلم أو الإيمان بالتقدم أو الإيمان بالجمال أو الإيمان بالإنسانية، ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبد الذي يحب خالقه ويعمل بما شرعه» [5].

والدين الطبيعي اصطلاحا أطلق في (القرن الثامن عشر) على الاعتقاد بوجود الله وخبرته، وكذلك بروحانية النفس وخلودها وبإلزامية فعل الخير من جهة ما هو ناشئ عن وحي الضمير ونور العقل.

ج/ الأخلاق:

*لغة هي: « جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروءة، و ...هي صورة الإنسان الباطنية و نفسه أو صافه ومعانيه المختصة به» [6].

**اصطلاحا عرفها "الجرجاني": «الخلق عبارة عن هيئة لنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فان كان صادر عنها الأفعال الحسن، كانت الهيئة خلقاً حسن وان كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سمية الهيئة التي تصدر عنها هي مصدر ذلك خلقاً سيئا» [7].

**2. تحليل إشكالية البحث :**

لعل ثورة العقل في (الرابع الأخير من القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر) دليلا على نور متحقق في العقل قذف بحركة التنوير واقعا ملموسا ضد الموروث المغلوط مناشد حرية الإنسان والاعتبار لإنسانيته، ولعل من أهم الرواد التنويريين الذين شغلهم هم الإنسان الواحد وقيمه المشتركة مثل الحب والخير والتسامح الفيلسوف الفرنسي " فولتير" هذا الأخير الذي يرى: «أن يكون المرء حرا، وأن يكون مساويا للجميع فتلك هي الإنسانية الحقة » [8].

فهذا شعار ضد كل ألوان التعصب التي وجدت مع الإنسان وتطورت بتطور أنانيته وأطماعه؛ وجهله بحدود الأخر وأخلاقيات التعايش السلمي ضمن الكم الهائل من الثقافات العالمية إلى أن بلع حد العدوان و الإرهاب والحروب و الكثير من الممارسات العامة التي تتجه نحو الدمار، بيدا أن" فولتير " له موقف من مسألة الزيف الديني ووسائل الوصايا الدينية على البشر مثلما مارسها الكهنة أي التدين الكاذب ، فهو يدعو لتجاوز المناخ السلطوي و العداء نحو تسامح كلي يضمن الاستمرار والتكامل الإنساني بين الجميع يقول: «ومن الواضح إن الفرد الذي يضطهد فردا آخر هو أخوه في الإنسانية لأن له رأيا يخالف رأيه هو وحش، وهذا لعسر في إدراكه، فما بالك بالحكومة وبالقضاة وبالأمراء الذين ينكلون بمن لا يدينون بدينهم» (9).

وعلى هذا الأساس ورغم الظرف الصعب الذي وجد فيه "فولتير" إلا أن هذا لم يمنع من أن تكون له رؤى مستقبلية نحو إنسانية متعاونة على أساس من الحب والتسامح والفضائل التي يرى أنها ثمرة الإنسانية وحدها تكفل السلام للبشر في إطار التنوع الثقافي والتجانس الأخلاقي، وهذا ما يكشف مشكلة الانتقال بالإنسان من ظلام العصور الوسطى واستبداد رجال الدين والبلاط لباقي الجماهير أو الطبقات الاجتماعية نحو النور والحرية وثورة العقل و قيم التثاقف و إنسانية عالمية من خلال جملة مبادئ طبيعية؛ هدف "فولتير" أن يرقى بالحياة العقلية والأخلاقية وتحرير الإنسان من الأحكام المسبقة فهي حسب رأيه: «علة شقاؤه» (10).

وهذا عن طريق التنوير المؤسس على حرية العقل ومنجز العلم والتواضع الاجتماعي لا عن طريق تغيير داخلي للإنسان لأن الإنسان أناني بطبعه ويجب تهذيبه وذلك لتحقيق مبدأ "فولتير": «علينا أن نزرع حديقتنا» (11).

أي نشر الفضائل في عالمنا بدل الظلم والفساد والحرب.

يقول "فولتير ": «هذه الكرة الأرضية الصغىرة، التي لىست إلا نقطة تدور في المكان، مثلها مثل كرات أخرى ونحن تائهون في هذا المكان الهائل، إن الإنسان و

قامته طولها خمس أقدام هو قطعا شيء هين في الخليقة وواحد من هذه الكائنات التي لا يمكن إبصارها، ىقول لبعض جىرانه في الجزىرة العربية أو في بلاد الكفار، أصغ إلى كل هذه العوالم، قد بصرنا: يوجد تسعمائة مليون من النمل الصغىر مثلنا على سطح الأرض، لكن قرية نملى هي وحدها الأثىرة عند الله، أما سائرها فإن الله ىكرهها منذ الأزل، وقريتي وحدها هي التي ستكون سعيدة، بينما سائر القرى ستكون تعيسة إلى الأبد» (12).

فهذا الاصطفاء والاختيار أساسه أخلاقي قائم على قيم التسامح التي تضرب بجذورها في تاريخ الحضارات العالمية والأديان السماوية والوضعية، ناهيك لمطالب الاستقرار والعدالة والحب وكل ايجابيات السلام الدائم بين البشر؛ وأول خطوة لتحقيق هذا المشروع العالمي هو إسقاط الموروث الكنسي والديني المنغلق والجائر واستخدام العقل التنويري نحو السعادة والتقدم الكوني، لأننا نمثل هوية إنسانية جوهرية واحدة بصرف النظر عن تعدد اللغات والعرق وتنوع الأجناس والجغرافيات ؛ فكل هذا التنوع يعزز مساعي الوحدة الإنسانية بين البشر لا الفرقة والعداوة حسب "**فولتير**" بناءا على حق التعايش الطبيعي وفق معايير أخلاقية تراعي المشترك العام دون الاعتراض للمسائل الخاصة بالإيمان والاختيار لأنها حق خاص بكل فرد وقيم التسامح تكفل حق احترام الحريات يقول "**جون لوك**"في هذا الصدد: «**إن حرية العقيدة الدينية واجب في عنق الدولة وليس لهذه الأخيرة أن تتدخل بين الفرد وعبادته، إذ واجبها محصور في صيانة المصالح المادية وحدها، ولكن على شرط ألا يعرض تصرف الفرد وسلامة الدولة للخطر**» (13).

في حين" **فولتير**" كان ذو حس ثوري شامل: «**كان كفاحه يقوض القاعدة الإيديولوجية للنظام الإقطاعي والاستبدادي للعقيدة الكاثوليكية ويزعزع واحدة من أقوى منظماته الكنيسة، بيدا أن "فولتير" لم يدخل تاريخ الحركة الإيديولوجية التحررية في القرن الثامن عشر بصفته ناقد للدين وللكنيسة فحسب، فقد أسهم أيضا بقسط فعال في صياغة الايدولوجيا السياسية للثورة الزاحفة**» (14).

وبمنطق "**فولتير**" احترام مبدأ الحق الطبيعي والأخلاق الاجتماعية والتسامح المطلق والشامل لكل البشر على أساس وحدتنا الإنسانية فهو يقول: «**أننا قد نرد علىه: أىكون التركي المسلم شتىقي؟ و كذلك الصىني؟ و الىهودي؟ والسىامي؟ ؛ اجل بلا رىب: أفلسنا جمىعا أبناء أب واحد و مخلوقات اله واحد**» [15].

حيث نجد في هذه المسألة الممارسات التي قامت بها الكنيسة على العلماء بلغت حد الشراسة، فهي لم تكتفي بمطاردتها أو تسفيه آراءهم ورد نظرياتهم، بل بلغ بها الأمر إلى قتلهم وحرقهم وقد أقدمت الكنيسة على هذه الأعمال الرهيبة لأنها عدت تلك النظريات التي قال بها العلماء هرطقة وخروجا عن الدين ؛ حيث كانت الكنيسة تستعمل الحرق باعتباره وسيلة لتطهير الجسد من الأفكار التي اعتبرتها هرطقة، وخروج عن الدين مثل القول: (**بكروية الأرض**) حيث قام العلماء بإثباتها بالتجربة والمشاهدة والحساب، فالكنيسة نسبت هذه الآراء إلى الشيطان حيث قالت: «**والأجساد التي يسكنها الشيطان لا تتطهر إلا بالحرق وفق الطقوس الدينية، ولمصلحة أصحابها**» [16].

يؤمن "**فولتير**"بالثبات في الطبيعة فكل الأشياء ثابتة ومن ثم فالإله في تصوره: «**إله للطبيعة لا إله البشرية ويطلب منه ضمان لثبات في الطبيعة لا تخليص الإنسان لأنه لم يحدث به خطر قط** » [17].إذا"**فولتير**"يؤمن بالدين الطبيعي الذي يرى فيه الله صانع للطبيعة النافعة للإنسان؛ كثيرا ما رددت العبارة التالية: «**اعبد الله وكن رجلا صالحا** » [18].في فلسفة "**فولتير**" مبدأ العدل:«**هو ما يخدم المجتمع ويزيد في رخائه**» [19]. في حين نجد "**هوبز**" **يقول: «بضرورة الارتقاء إلى الحكم المطلق، والمنفصل عن قوانين الآلهة**» [20].

على خلاف "**جون لوك**" الذي يقول: «**لما كان البشر أحرار ومتساوين ومستقلين بالطبع، استحال تحويل أي إنسان عن هذا الوضع وإكراهه عن الخضوع لأي سلطة إنسان آخر، دون موافقته**» [21]. وبهذه الرؤية استطاع " **لوك**" القضاء على امتيازات الكهنة ورجال الدين والدعوة صراحة: «**لبناء دولة حديثة ذات**

**أسس ديمقراطية»** [22]. يعتبر "**فولتير**" من فلاسفة الأنوار الأكثر إيمانا ودفاعا عن مبدأ التسامح ؛ مما جعله يخصص له كتاب كاملا بعنوا ن(**رسالة في التسامح** )والذي يعد صرخة في وجه التعصب الديني وفي وجه الظلم اللاهوتي للبشر الذي ذاع بشكل رهيب في عصور الظلم والظلام القرووسطى يقول "**فولتير**" في هذا الصدد: «**إن الدين وجد لنكون سعداء في الحياة الدنيا والآخرة، فما المطلوب كي نكون سعداء في الآخرة إلا أن نكون صالحين ومتسامحين** » [23].

ومن ثم فإن الحكم المطلق لا يجب أن يكون له آلهة أخرى ؛ وهذا ما ذهب إلى تأكيده "**هوبز**" فكان جل تركيزه على الصورة الطبيعية للحياة الإنسانية حيث قال أن: «**سلوكيات الإنسان ليست صور سماوية نازلة من السماء، وإنما هي من الأمور الطبيعية المرتبطة بالحياة الاجتماعية للفرد**» [24].

وعليه ظل "**فولتير**" يعتقد أن التنوير هو الوحيد الذي من شأنه خطوة بخطوة أن يصعد لتحرير جل مجالات الحياة؛ وكل العقول عندئذ تخرج البشرية من مرحلة الظلام الحالك إلى رحابة العقل والعلم ومتنفس الحرية ؛ ولذلك نلمس في مخلفات "**فولتير**" الفكرية العديد من الأعمال الأدبية الشهيرة التي تدين وبشدة المستويات الدونية والهجينة في الإنسان، وجل هذه الأعمال درامية لأنها كانت تقدم على شكل مسرحيات و ملاحم تناولت مواضيع في صميم الطبيعة الإنسانية؛ ففي مؤلفه الشهير –**كانديد-دعا**" **فولتير**" إلى نبذ الشر من خلال تصويره لمشاهد القتل المروعة حيث تحدثت بطلة "**كانديد** "عن بشاعة البلغاريين الذين تفننوا في قتل الأب والابن وتقطيع الأم إلى أجزاء صغيرة مما جعل البطلة تفكر في الانتقام لنفسها ولأهلها.

هذه الموازنة بين الخير والشر في الطرح الدرامي" **لكانديد**" بين صراع الخير والشر تعكس معنى واضحا وهو عبارة عن دعوة شجاعة تحررية وثورة ضد كل أنواع الشرور والرذائل وعدم الاستسلام والجبن والتراجع والمقاومة حتى النهاية للتحرر والسلام، ناهيك أنه يرى بأن أبشع نظام سياسي هو الذي يقوم بربط

الدين مع السياسة، وبالتالي طالب: «**بخضوع رجال الدين والكهنة إلى سلطة الدولة وقوانينها**» (25).

فهو يؤكد على ضرورة القطيعة بين عالم اللاهوت والنا سوت وبالتالي فإن السيادة واتحاد الجماعة السياسية: «**هي القدرة المطلقة والدائمة بعيدا عن الدين، ومن ثم وجبت الدعوة إلى استقلال الكنيسة وبعدها كل البعد عن جل شؤون الحياة، ما دام الحاكم يستمد سلطته الأولى من الإله**» (26).

ففي مؤلفه الفلسفي (DICIONARIO FILOSOFICO ) وهو عبارة عن قاموس يجمع الكثير من القضايا والمواضيع المتنوعة في مجال قيم التسامح وموضوعاته بروح فلسفية وصبغة واقعية، وتحليل موضوعي يحاول "**فولتير**" تسطير مخرج لأزمة الإنسان من خلال الدعوة للقيم التسامح والحرية بروح أدبية نقدية وبأبعاد فلسفية كونية.

فهذا القاموس يحمل من جملة حمولاته وموضوعاته نقد "**فولتىر**" للمسيحية ودعوته للسلام و لهدم الأفكار الميتافيزيقية الهدامة، الهدف من هذا القاموس حسب نباهة " **فولتير**" الموسوعي هو السعي إلى تحقيق ثلاثة أهداف هي: {

أ/ رفض عقيدة العناية الإلهية التي تقوم عليها الديانة المسيحسة خصوصا فلسفة القديس "أوغسطين"، وبالتالي رفض كل ما يتعارض مع العقل في ميدان العقائد أو ما يتعارض مع المنفعة في مجال السلوك أو ما يتعارض مع الأخلاق في مجال العلاقات الإنسانية.

ب/ هدم الفلسفات الميتافيزيقية و النظريات الفلسفية التي هي أقرب للمتاهة العقلىة بالمعرفة الحسية.

ج/ الدعوة إلى السلام و مهاجمة الحروب الدينية أو الدنيوية، وشجب التعصب الديني والفلسفي، و القوة والعنف في تنظيم العلاقات بين الأفراد وبىن الدول} (27).

ومنه **فإن القاموس الفلسفي** في مجمله كان ىتجه نحو إثبات الغاىة الأولى، وهي إعادة بناء الدىن **والمناداة** أو بالأحرى التدين لرد الثقة في الدين الذي شوه من قبل الكثير من المفسدين على أساس عقلي منفتح موضوعي لا ذاتي ولا دوغمائي، وهو مشروع الفلسفة الحدىثة كما هو الشأن عند" **سيبنوزا" وكانط**"مثالا لا حصرا للتحرر من أوهام الميتافيزيقا وأساطير التسلط و قصور العقل إلى إرادة العقل العملي المتجاوز والمتحرر نحو الحداثة وقيم التسامح والحوار أو الديمقراطية، حتى وان كان التفاوت من مسلماتها فهذا لا يخدش معاني العدل بل يوطنها أي الاختلاف والتعدد مساواة وليست دائما تفيد معنى التضاد والظلم والطغيان.

يشير الكثير من المهمتين بالإرث الفكري "**لفولتير**" أنه كثير ما كان يختم رسائله التي كانت تعبر عن صوت داخلي قوي- ضمير إنساني- يتجاوز الذات للعالم مطالب بحق كوني مشروع لا حق فردي وحسب وقد تكررت عبارة:«**اسحقوا الخسيس أو اسحقوا العار الذي ىلحق بالأشخاص**» [(28)].

وهي تشىر إلي تلك الممارسات الغير إنسانية و الإساءات التي تلحق بالناس من طرف الحكومة و رجال الدىن، كما تشىر أىضا إلى الخرافات و عدم التسامح الذي زرعه الكهنة باسم الدىن في نفوسهم رعبا وترهيبا و جور ا وتزييف لا ترغيبا وإقبال نحو الدعوة لاستخدام العقل في الوصول للحقيقة الإلهية واعتبار الإيمان مسألة خاصة وخاصة وفقط، ففي عام (**1909**) من شهر **سبتمبر** نشرت مجلة "المقتطف" مقالاً لإزالة الفوارق بين البشر حسب نظرة العلمانيين، ومما جاء فيه: «**إن امتزاج الأمم من أقوى الوسائل الطبيعية لترقيتها، فعلى الذين يهتمون بإصلاح نسل الإنسان، وترقيته جسدا وعقلا أن يسعوا إلى إقناع أبناء نوعهم وسائر الناس من طينة واحدة، فإن كانت الأديان قد فرقت بينهم فيما مضى فعلى زعمائها أن يزيلوا أسباب التفريق الآن** [(29)].

فمن أهم شعارات التسامح التي دعا لها و إليها" **فولتىر**": « **قد أختلف معك في الرأي ولكنني على استعداد من أجل الدفاع عن رأيىك؛ أنا أمقت ما**

**تُكتُب ولكنني على استعداد تام لأن أضحي بحىاتي من أجل أن تستمر في الكتابة»** [30].

عرف "**فولتير**"بأنه مشككا ثائر لعدم توافق تعاليم المسيحية كدين مع أفعال وسلوكيات رجالات الدين وهيئتهم الوصية؛ و كان مستنكر لمكر قساوسة الكنيسة ووشاة البلاط على الدوام فهو ثورة لم تعرف الخمود نتيجة ما لحق به من ظلم واتهامات في سبيل التنوير والعقلانية إذا زج به أكثر: «**من11شهرا في سجن – الباستيل- وصدرت مؤلفاته ونفي مرتين»** [31].

ولعل زيارته لألمانيا رغم وصول التنوير إليها متأخرا واحتكاكه بالملك "**فريدرك الثاني**" وتأثره بإصلاحاته السياسية والاجتماعية وكيفية تعامله مع الدين بتعاطي ديمقراطي لا بقهر واستبداد ديكتاتوري متسامحا لا ىبالي بأي دىن ىؤمن به رعاىاه ماداموا ىدفعون الضرائب و ىلتحقون بالجىش ويمارسون واجباتهم إزاء الحكومة المالكة، زيادة على فخره بالتجربة الانجليزية في الإصلاح شكلت إرهاصا قوي في ديباجة أفكاره وشخصيته الغير متكررة؛ ليجعل "**فولتير**" من هذا المناخ بذرة لميلاد رسالته في التسامح ونبذ اللا مساواة والظلم وأشكاله وخاصة استبداد رجال الكنيسة إذا يقول: « **حين نقرأ التاريخ لنكن حذرين من الأساطير** » [32].

وهذا ما يعكس أثر الثقافة الانجليزية على تكوينه فدعا شعبه الفرنسي إلى ضرورة تغيير نمط حياته من التزمت والانغلاق إلى التسامح الديني تجاه المعتقدات الدينية فهو كان يشن حرب ضد المسيحية التي جعلته من كثرة تناقضات ممثليها يكره الميتافيزيقا واللاهوت رغم إيمانه بالله والدليل عنده هو: «**حين أرى ساعة يدل عقربها على الزمن أستنتج أن موجودا عاقلا رتب لوالبها لهذه الغاية، وكذلك حين أرى لوالب الجسم الإنساني أستنتج أن موجودا عاقلا رتب هذه الأعضاء وأن العينين أعطيتا للرؤية واليدين للقبض. . . الخ»** [33].

ومنه فالغائية تجعلنا نسلم بالسببية، ومنه بالقوانين الكلية للعالم التي سنها الله في العالم . الهم الذي شغل اهتمام فيلسوف فرنسا الأول حسب رأينا "**فولتير**"هو المساواة في البعد الإنساني؛ لذلك وقف ضد كل رهبنة وتسلط و دعا الجماهير للتمسك بمبادئ الحرية وهي العقلانية والأنسنة وقيم التعايش الطبيعي الكوني: «**وحدوا أنفسكم و أقهروا التعصب و الأوغاد، و اقضوا على الخطب المظللة و السفسطة المخزىة و التارىخ الكاذب لا تتركوا الجهل ىخضع العلم، سىدىن لنا الجىل الجدىد بعقله وحرىته**» [34].

يظهر تأثر "**فولتير**" بمبادئ فلسفة "**نيوتن**" في رد كل الموجودات إلى علة أزلية وجوهرية بالضرورة يقول: «**فأنا مضطر إلى أن أعترف بوجود كائن واجب الوجود منذ الأزل وهو أصل الكائنات** » [35].

رغم أن "**فولتير**" يقر أن الطبيعة الإنسانية واحدة في كل زمكان، لكنه يقر باختلاف البشر فيما بينهم فهو لا يرى حرج في قيام نظام الطبقات الاجتماعية بل يستنكر الظلم وغياب العدالة الاجتماعية؛ فلا تطغى طبقة على أخرى فهو لا يتصور قيام مجتمع تنعدم فيه الطبقات أو تقوم فيه طبقة واحدة فهو يقر بحق الملكية شرط المساواة في العدل: «**من المستحيل في عالمنا التعيس ألا ينقسم البشر الذين يعيشون في مجتمع إلى طبقتين طبقة أغنيا ء وطبقة فقراء يخدمون** » [36].

ضرب "**فولتير**" عدة أمثلة لمجتمعات عرفت و عاشت التسامح (**المجتمع اليوناني** ) مثلا ىري "**فولتىر**" أن الحرىة الفكرىة التي سادت المجتمع الىوناني وتجسد هذا في مثال"**سقراط** "الذي ىعتبر أقوي حجة ىمكن أن نشهرها في وجه الدوغمائية ونعبر بها عن النزعة الإنسانىة التي حملها الفكر الىوناني و تبنها لتحقىق حرىة فكرىة وقىم إنسانىة يقول: «**إذن كان الدىن ىجمع بىن البشر و ىخفف أحىانا من شدة هىاجا نهم و إن أمرهم أحىانا أخرى. . . وقد أكون على خطأ، و لكن ىبدو لي أنه ما من شعب من الشعوب القدىمة و المتحضرة قد ضىق الخناق على حرىة التفكىر، كان لكل قوم دىنهم**» [37].

إذا اعتبر "**فولتير**" ظلم الكنيسة واقعة خاصة بالمسيحيين، باعتبار توجهات رجالها تهدف إلى السيطرة الدينية والسياسية أكثر من نشر تعاليم الدين الصحيحة،لذلك جاءت أفكار "**فولتير**" ثورة ضد التقاليد والأعراف وشرع لأخلاق عملية يصنعها البشر ضمن علاقاتهم الاجتماعية وتواضعا تهم المعاشة .

فهو يرى أن الأخلاق تولدها حاجات البشر فيما بينهم بمعزل عن الأبعاد الميتافيزيقية أو الانطولوجيا الإلهية وأحكام الغيب.لذلك جعل العقل هو أساس التشريع الأخلاقي للتعايش وفق القيم النبيلة بين سائر البشر طلبا للفضائل ونبذا للرذائل، وفي هذا دليلا على رفضه لايدولوجيا الإقطاعية والمسيحية المنغلقة والطائفية. . . الخ

وعليه كان على" **فولتير**" أن يؤسس لأخلاق وضعية طبيعية يعاقب فيها الإله عن الشر ويكافئ على الخير؛ فهو جعل من الأخلاق الاجتماعية قانون عام وكوني على اعتبار أن الإنسان خير بفطرته لذلك لم يهتم "**فولتير**" بالبحث في علل الشر وآفاته بقدر ما كانت تضحياته تصب في تغيير صورة الإنسان للإنسان والعالم نحو الأفضل من خلال الدعوة للتعايش الكوني وفق قيم التسامح والمواطنة لتحقيق المنفعة الكلية كغاية وقانون يحكم العيش المشترك بعيون العدالة يقول "**فولتير**": « **إني اسمي قوانين طبيعية تلك التي تعينها الطبيعة في الأزمان كافة وللبشر قاطبة من أجل الحفاظ على العدالة** » (38).

وهذا مؤسس على العقل المستنير والمصلحة العامة ،لأن القوانين الطبيعية تصدر من الخالق وعي مقدسة يجب احترامها وعدم المساس بها مع ضرورة احترام الحريات الفردية فهو يرى أن الحرية: «**تتمثل في أن لا يخضع المرء إلا للقوانين**» (39).

ما يفهم أن "**فولتير**" يؤكد: «**أن جميع الحقوق الطبيعية هي من حق السلطان والبستاني على حد سواء فمن المفروض أن يكون لكليهما حق متماثل في التصرف بشخصهما وبأسرتهما وبأملاكهما، البشر متساوون إذن في الجوهر**» [(40)].

**خاتمة:**

**نخلص في الأخير مما سبق تحليله** : أن التسامح حق طبيعي ومطلب إنساني بين جميع الشعوب ومن واجب الأفراد والمؤسسات إعمال العقل المستنير من اجل المصلحة العامة والتعايش الكوني وفق قيم العفو والتسامح والمواطنة و الديمقراطية التي تحترم العدالة الاجتماعية كمطلب وغاية "**ففولتير**" ظل يناشد بحسه الإنساني المشترك وبوعيه الموسوعي كل الفضائل التي من شانها حفظ كرامة الإنسان وضمان تقدمة واستمراره في ظل الاختلاف والتعدد أو التنوع الذي لا يضر بالوحدة الإنسانية قط ومؤشر ذلك قول" **فولتير**": و«...**إنه من الحماقة الزعم بدعوة كل الناس إلى التفكير بكيفية متماثلة،وإذا كانت آفات الحرب محتومة فلا يجب أن نتكاره ونتمازق بعضنا بعض في حضن السلم** [(41)].

❖ **هوامش البحث:**

(1) على بن محمد الجرجاني، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع1985)، ص ص50، 51.

(2) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، (ج1، بيروت: دار الكتاب اللبناني1982)، ص. 271

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، (ج1؛ لبنان: دار المعرفة بيروت، 1971)، ص 572.

(5) المرجع نفسه، ص573.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) بن منظور، **لسان العرب**، (مج؛ لبنان: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988)، ص194

(8) نقلا عن خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، **موسوعة الأخلاق**، (الكويت: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، 2009)، ص21.

(9) ف فولغين، **فلسفة الأنوار**، ترجمة هنريت عبودي مراجعة جورج طرابشي، (ط1؛ لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2006)، 27.

(10) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(11) المرجع نفسه، ص ص 29،30.

(12) ليود سبنسرأندرزيجي كروز، **عصر التنوير**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام(ط1؛ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص31.

(13) عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة**، (ج2، بيروت: المؤسسة العربىة للدرسات والنشر والتوزىع، 1984)، ص ص61، 62.

(14) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، (ج1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963)، 199.

(15) ف فولغين، **فلسفة الأنوار**، مرجع سبق ذكره، ص30.

(16) نقلا عن فولتىر، **رسالة في التسامح**، ترجمة هنرىت عبودي، (سوريا: دار بترا للنشر والتوزيع، 200)، ص150.

(17) عدنان محمد زرزور، **القومية والعلمانية**، (عمان: مؤسسة الرسالة 1992)، ص140.

(18) المرجع نفسه، ص141.

(19) نقلا عن فولتير، **كاندىد أو التفاؤل**، ترجمة، آنا مارىا شوىر، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2005)، ص 10.

(20) نقلا عن محمد عمارة، **العلمانية ونهضتنا الحديثة**، (ط2؛ د ب: دار الشروق، 1986)، ص 13.

(21) جودت سعيد، عبد الواحد علواني، **الإسلام و الديمقراطية**، (د ب: د ن، 1996)، ص 90.

(22) محمد عمارة، **العلمانية ونهضتنا الحديثة**، مرجع سابق ذكره، ص 14.

(23) فولتير **رسالة في التسامح**، مصدر سبق ذكره، ص125.

(24) نقلا عن نفس المصدر، ص126.

(25) نقلا عن علال الهاشمي الخياري، **الإسلام وإيديولوجيات الفكر المعاصر**، (ط2؛ د ب: الدار الكويتية للنشر، 1977)، ص 53.

(26) محمد عمارة، **إسلامية المعرفة الإسلامية (الإسلام دين الحياة)**، (مصر: دار الشرق الأوسط، 1991)، ص 72.

(27) ول دي‌و رانت، **قصة الفلسفةالحديثة من أفلاطون إلى جون ديوي**، ترجمة فتح االله محمد المشعشع، (ط6؛ بيروت: منشورات مكتبة المعارف، 1988)، ص298.

(28) أندريه كرستون، **فولتير حياته أثاره، فلسفته**، ترجمة صباح محي الدين، (ط2؛ باريس، منشورات عوبدات بيروت، 1984) ص62.

(29) محمد عمارة، **العلمانية ونهضتنا الحديثة**، مرجع سابق ذكره، ص 14.

(30) كمال عبد اللطيف، **التفكير في العلمانية إعادة بناء المجال السياسي في الفكر العربي، افريقيا الشرق**، ( د ط؛ لبنان: بيروت، 2002)، ص 37.

(31) فولتير، **رسالة في التسامح**، مرجع سبق ذكره، ص125.

(32) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(33) أندري كريستون، **فولتير حياته آثاره، فلسفته**، مرجع سابق، ص 66.

(34) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(35) عبد الرحمان بدوي، **الموسوعة الفلسفية**، (ج2، القاهرة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984)، ص202

(36) فولتير، **كانديد أو التفاؤل**، مصدر سبق ذكره ، ص 155.

(37) مراد وهبة، **مدخل إلى التنوير**، (مصر: دار العالم الثالث، 1994)، ص38.

(38) سعيد حبيب، **أعلام الفكر الفرنسي** (دب: دار الشرق والغرب، 1950)، ص61.

(39) ل ديوارانت، **قصة الفلسفة الحدىثة من أفلاطون إلى ديوي**، مرجع سبق ذكره، ص 295.

(40) سعيد حبيب، **أعلام الفكر الفرنسي**، مرجع سبق ذكره، ص66.

(41) مراد وهبة، **مدخل إلى التنوير**، مرجع، سبق ذكره، ص39.